

## إذا ضاع الأيتام

2016-06-16 نزار حيدر

{فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.

١٢ / حماية المستضعفين في المجتمع، فقد قال تعالى {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا} الامر الذي يلزم، لتحقيقه، ان نحیی مبدأ التكافل الاجتماعي ونظام الحماية الاجتماعية.

لا ينبغي أبداً ان نتجاهل الطبقات الضعيفة في المجتمع، خاصة الأطفال اليتامى، وأطفال الشوارع الذين يكونون عرضةً للاستغلال السيء بكل اشكاله، الجنسي منه والتجنيد في شبكات الموت [المخدرات] وجماعات العنف والارهاب، وغير ذلك.

ان حالة اليتيم في المجتمع هي المقياس الحقيقي للتكافل الاجتماعي والاخلاق والرحمة، فاذا وجدته ضائعاً في الشارع يستجدي المارة، فاعلم ان اخلاق الشوارع هي الحاكمة في المجتمع، اما اذا رأيت اليتيم معزز ومكرم ومحمي لا يشعر بثقل فقدان والديه او أحدهما فاعلم ان المجتمع تحكمه الأخلاق الراقية وعلى رأسها الرحمة والتسامح والتكافل الاجتماعي.

ولهذا السبب حدثنا القرآن الكريم كثيراً عن اليتامى، وأوصانا بالطبقة الضعيفة والمستضعفة في المجتمع كقوله عز وجل {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} وقوله تعالى {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ}

وقوله {في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم} {وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً} وقوله تعالى {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً} وقوله {واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير}.

وفي خطبته التي استقبل بها شهر الله الفضيل، شهر رمضان المبارك، يقول رسول الله (ص) {واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم ووقروا كباركم وارحموا صغاركم وصلوا أرحامكم واحفظوا ألسنتكم وغضوا عما لا يحل النظر إليه أبصاركم وعمّا لا يحل الاستماع إليه أسماعكم وتحننوا على أيتام الناس يتحنن على أيتامكم وتوبوا إلى الله من ذنوبكم وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم فإنها أفضل الساعات ينظر الله عز وجل فيها بالرحمة إلى عبادهم، يجيبهم إذا ناجوه ويلببهم إذا نادوه ويستجيب لهم إذا دعوه} وهو القائل (ص) حاثاً على كفالة الأيتام {أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، وأشار بالسبابة والوسطى}.

أما أمير المؤمنين (ع) فلقد أوصى الحسنين عليهما السلام بقوله (ع) {الله الله في الأيتام، فلا تغبوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم}.

وعن الطبقة الضعيفة والمستضعفة في المجتمع يقول أمير المؤمنين (ع) في عهده للاشتر {ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا، واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسما من بيت مالك، وقسما من غلات صوافي الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكل قد استرعيت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تعذر بتضييع التافه لإحكامك الكثير المهم}.

فلا تشخص همك عنهم، ولا تصعر خدك لهم، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تفتحهم العيون، وتحقره الرجال، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثم اعمل فيهم بالأعدار إلى الله تعالى يوم تلقاه، فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من

غَيْرِهِمْ، وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ.

وَتَعَهَّدُ أَهْلَ الْيَتِيمِ وَذَوِي الرَّقَّةِ فِي السَّنِّ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ عَلَى الْوَلَاةِ ثَقِيلٌ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ.

وَاجْعَلْ لِدَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْمًا تُفَرِّغْ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِسًا عَامًّا، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتَقْعُدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (عليه السلام) يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: "لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ".

للأسف الشديد فإن مجتمعنا تزداد فيه الطبقة المسحوقة يوماً بعد آخر، كما أن أعداد الأيتام والأرامل في تزايد مستمر بسبب ما ورثناه من دمار مجتمعي خلفته لنا سياسات نظام الطاغية الذليل صادم حسين الذي تركت حروبه العنيفة أكثر من مليون يتيم وأرملة، زادت عليها السياسات الفاشلة للدولة والتي لم تحقق الحد الأدنى من أسباب العيش الكريم والعدالة الاجتماعية، من جانب، وبسبب الإرهاب الذي لازال يحصد أرواح الأبرياء بلا رحمة، من جانب آخر.

والحمد لله فإن المجتمع يتحمل اليوم مسؤوليته إزاء هذه الطبقات الضعيفة والمسحوقة، فمؤسسات رعاية الأيتام والأرامل وضعاف الحال منتشرة في كل مجتمعنا، فهي تتبنى الأيتام وأسره بشكل مشهود ما يقلل ويخفف من معاناتهم ويساهم في إعادة التوازن لحال المجتمع الذي اتسعت فيه الطبقة الاجتماعية بشكل ملفت للنظر بسبب سياسات الدولة غير العادلة، ولكن، مع وجود كل هذا الجهد المجتمعي الذي يتبنى الطبقة الضعيفة إلا أننا نحتاج إلى المزيد من هذا الجهد، لأن تضييع حقوق هذه الطبقة يدمر المجتمع على المستوى البعيد، ويكون سبباً مباشراً لرفع رحمة الله تعالى عن المجتمع، وفي الحديث الشريف {إِرْحَمَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ} فكيف سننتظر رحمة السماء وشأبيب رحمة الله عز وجل إذا ضاع الأيتام في حضرتنا؟!.